

## لماذا يحقدون علينا

### د. محمد عبد العزيز ربيع

في أعقاب العمليات الإرهابية التي نفذها تنظيم القاعدة في مدينتي نيويورك وواشنطن في سبتمبر 2001، رفع الرئيس الأمريكي بوش شعار "لماذا يكرهوننا". وإذا كان من الممكن تفهم أسباب طرح ذلك السؤال في حينه، إلا أن السؤال توقف عند حد التساؤل دون محاولة التعرف على أسباب الكراهية المفترضة، ودون مراجعة السياسات الشرق أوسطية التي قد تكون سببا للسخط العربي الذي ترجمته القاعدة إلى عمليات إرهابية، ودون تحديد مسؤولية السياسات والمواقف الأمريكية عما حدث. وفي الواقع كان رفع شعار "لماذا يكرهوننا" بداية خبيثة لشن حملة إعلامية ذكية ضد المسلمين عامة والعرب خاصة، تمهيدا لتنفيذ خطة عسكرية عدوانية لغزو العراق، والسيطرة على منابع البترول العربية، وتسخير إمداداتها أداة إستراتيجية تستخدمها أمريكا متى تشاء للضغط على من تشاء من دول، وإحكام الهيمنة الأمريكية - الإسرائيلية المشتركة على المنطقة العربية.

وعلى الرغم من فداحة العملية الإرهابية، إلا أن حقائق التاريخ والواقع تشير إلى حب العرب لأمريكا، وإلى أن حبههم يدفع عشرات الآلاف منهم كل يوم للوقوف أمام السفارات الأمريكية طلبا لفيوز للدراسة أو العلاج أو السياحة أو الهجرة أو غير ذلك لكن العرب، ودون أدنى شك، يكرهون، ومن حقهم أن يكرهوا سياسات أمريكا المعادية لحقوق الشعب الفلسطيني، والمنحازة انحيازاً كاملاً لإسرائيل.

إن أمريكا التي رفعت شعار "لماذا يكرهوننا" قبل خمسة أعوام لم ترفعه من منطلق البحث عن جذور "الكراهية" المفترضة، ولا في سياق البحث عن حلول للمشاكل المعقدة، وإنما من أجل تبرير الحرب على أفغانستان والعراق، وإعطاء إسرائيل ما قد تحتاجه من ذرائع إضافية لمواصلتها أعمالها الإجرامية ضد الفلسطينيين، ودفع الدول الأوروبية إلى الانسواء تحت راية الهيمنة الأمريكية. ولما كان من الصعب تبرير العدوان الأمريكي على العراق والقيام بتدمير اقتصاده وتفكيك النسيج الاجتماعي والسياسي لشعبه، وتبرير الجرائم الإنسانية التي ترتكبها إسرائيل في فلسطين، فإن شن حملة إعلامية عدوانية كان ضروريا لاختصار العربي في عيون الغربيين عامة من إنسان متحضر إلى حيوان متوحش.

لقد استهدفت الحملة الإعلامية الأمريكية - الصهيونية المشتركة، أولا وقبل كل شيء، تدمير صورة العربي في المخيلة الإنسانية عامة والمخيلة الغربية خاصة ومخيلة الأمريكي بشكل أخص، واختصار العربي من كونه إنسانا ذا مشاعر وله حقوق، إلى مجرد مخلوق بدائي يمارس الإرهاب كهواية، ويعتدي على الآخرين من منطلق الكراهية، ويعمل على تدمير نمط حياة الغرب من منطلق الغيرة والحسد، ويتصرف بوحشية أهل الغاب. ولقد تبع ذلك تضيق الخناق على وسائل الإعلام التي توخت الاعتدال، واتهام كل من تجرأ على مناقشة قضايا الشرق الأوسط من منطلق أخلاقي أو إنساني أو حتى من منطلق الحفاظ على المصالح الأمريكية، بالعداء للسامية، وطعن القوات الأمريكية التي تحارب الإرهاب دفاعا عن الشعب الأمريكي والمصالح الأمريكية من الخلف.

ويبدو مدى النجاح الذي حققته الحملة الإعلامية واضحا حين نقرأ ردود الفعل الأوروبية والأمريكية على الغزو الإسرائيلي للبنان، وعلى المجازر التي ترتكبها الدولة اليهودية ضد الأبرياء من الفلسطينيين واللبنانيين كل يوم. إن موقف أمريكا والعديد من الدول الأوروبية من الحرب في لبنان وغزة يظهر مدى عداء أمريكا للعرب وحقدتها عليهم، ومدى فقدان أوروبا "المتحضرة" لمشاعرها الإنسانية واستعدادها للتبعية لسياسة أمريكية حمقاء وغير أخلاقية. وعلى الرغم من نجاحاتها الباهرة، فإن الحملة الإعلامية لا تزال تزداد شراسة

وحدة وكذبا وخبثا ودناءة يوما بعد يوم. وبينما أجد نفسي مضطرا لإدانة هذه الحملة بشدة، أجد لزاما علي أن أذكر بأن نجاحها ما كان من الممكن أن يتحقق، على الأقل بهذا القدر، لولا غياب العرب شبه الكلي عن ساحة الإعلام الغربية عامة والأمريكية خاصة.

إن الموقف الأمريكي الممعن في العداء لنا، والموقف الأوروبي الساكت على جرائم إسرائيل ضدنا يفرض علينا أن نتساءل **"لماذا يحقدون علينا"**. إن من غير الممكن البدء في فهم الموقف الأمريكي الراض لوقف إطلاق النار والتعاطف مع ضحايا المجازر الإسرائيلية، إلا من خلال طرح السؤال **"لماذا يحقدون علينا"** ورفع شعارا لموقفنا من أمريكا ومن محاولاتها المستميتة لتركيح الشعوب العربية بعد إتمام عملية تركيع غالبية الأنظمة العربية. إن الموقف العربي الرسمي من جرائم إسرائيل في لبنان وفلسطين يكشف مدى الهيمنة الأمريكية على غالبية صناعات القرار السياسي في بلادنا، ومدى الرهبة التي غرستها الغطرسة الإسرائيلية في قلوبهم، بينما يكشف موقف الشارع العربي من الأحداث الدامية مدى اتساع فجوة الثقة بين الشعب وحكامه، ومدى رفض الجماهير العربية للهيمنة الأمريكية والاملاءات الإسرائيلية.

وفي ضوء تواصل وتكثيف الحملة الإعلامية الكريهة ضد العرب والمسلمين، لا يمكن تفسير الموقف الأمريكي إلا على أساس ما تختزنه أمريكا من حقد على العرب، وكراهية مطلقة لكل ما هو عربي من مخلوقات وما هو إسلامي من أفكار ومعتقدات. ويأتي هذا الحقد على الرغم من أن العديد من الدراسات العلمية أثبتت أن السياسة الأمريكية الحالية تلحق الضرر بمصالح أمريكا الاقتصادية ومصداقيتها الدولية ومكانتها الأخلاقية ونظام حكمها الديمقراطي. وهذا يعني أن أمريكا، سياسة وسياسيون ونخبة إعلامية ومسيحيون صهاينة، تحقد على العرب حقا كبيرا يفرض علينا أن نتساءل **"لماذا يحقدون علينا"**. إن حقد أمريكا الذي عبرت عنه من خلال عمليات التعذيب في أبو غريب وقتل الأبرياء في العراق ورفض السماح لمجلس الأمن باتخاذ قرار بوقف الحرب، لا يقل عن حقد إسرائيل الذي عبرت عنه في قتل أطفال كان ذنبهم اللعب على الشاطئ وارتكاب مجزرة قانا الأولى والثانية ومجزرة القاع وغيرها. **"لماذا يكرهوننا"** هو السؤال الذي يتحدى كل المفكرين والمؤرخين والمتقنين العرب وغير العرب ممن لا يزالوا يؤمنون بالإنسانية ويتحلون بالشجاعة العلمية كي يجيبوا عليه. الكراهية وإن كبرت، مصيرها كالنار أن تخبو، ومع الأيام تزول. والحقد وإن صغر، مصيره أن يغدو مع الأيام غول، ويلتهم كالنار كل الحقول.

لنشر يوم الثلاثاء 8-8-2006

د. محمد عبد العزيز ربيع